الجرح بالإشارة عند نقاد الحديث

المنير فرج أبو ريمة حماد

كلية العلوم الشرعية جامعة بني وليد

الملخص

لاشك أن علم الجرح يعتبر من أدق علوم الحديث ، وأجلّها وأصعبها ، فهو علم صعب عسر ، ومزلق جدُّ خطر ؛ فلهذا قل عدد الجهابذة الناقدين فيه ، ولا يتأتى معرفة جرحهم أو تعديلهم إلا بمعرفة ألفاظه التي يستخدمها الناقدون في الكشف عن أحوال الرواة ، فكلما كانت الألفاظ دقيقة الصياغة ، محددة الدلالة ، متعارف عليها من العلماء ، ووضعوها ضمن مراتب محددة ، سهل معرفة حكم الناقد على ذلك الراوي ، ومن ثم الحكم على الحديث ، إلا أن بعض النقاد يستخدم ألفاظاً غير متداولة ، أو تصدر منه إشارات أو حركات يصعب أحياناً معرفة مراده منها ، هل أراد بهذا اللفظ أو تلك الإشارة التوثيق للراوي ؟ أو أراد التجريح ؟ فلهذا كان لابد من النظر في إشارات الأئمة وحركاتهم فضلاً عن كلامهم في جرح أو تعديل الرجال .

المقدمة

الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من أضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ويحيون بكتاب الله أهل العمى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يمن بفضله على من يشاء من عباده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم وعلى أله وصحبه ـ إلى يوم الدين ، و بعد : فإن السنة النبوية قد حظيت باهتمام سلفنا الصالح حفظاً ، وعملاً ، وأداءً ، ورحلة ؛ فحافظوا على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودافعوا عنه ، وميّزوا الخبيث من الطيب ، وقد قيّض الله لهذه الأمة العلماء الجهابذة الذين بذلوا جهدهم في ضبط الحديث ، والعناية به ؛ يقول الخطيب البغدادي : " قد جعل الله أهل الحديث أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله من خليقته ، والواسطة بين النبيء ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ، أو تستحن

رأياً تعكف عليه ، سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدّتهم ، والسنة حجّتهم ، والرسول فئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يعرجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم المأمونون عليه والعدول ، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته ، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع فيما حكموا به ، فهو المقبول المسموع ، فهذه جهود عظيمة لتلك الأجيال المتعاقبة ، الذين بذلوا كل جهدهم للحفاظ على السنة من الضعيف ، والموضوع ، وقدموا الغالي والنفيس في خدمتها ، فلهم منا كل الفخر والاحترام" .

ولعل من أمثلة الألفاظ غير المتداولة ، قول أبي حاتم الرازي " هو على يدي عدل " ، فقد ألتبس على الإمام العراقي وهو الناقد الرائد في الصنعة مراد أبي حاتم من هذا اللفظ ، فكان يعده من ألفاظ التوثيق ، وكان ينطق بها بكسر الدال الأولى هكذا " هو على يدِي عدل " ، وقد كانت هذه اللفظة في الحقيقة من ألفاظ التجريح التي بيَّنها الحافظ ابن حجر فقال : " كنت أظن ذلك كذلك ، إلى أن ظهر لي أنها عند أبي حاتم من ألفاظ التجريح (ينظر : فتح المغيث للعراقي1 : 403)

وقد وضعت في هذا البحث الموسوم (الجرح بالإشارة عند نقاد الحديث) مفهوماً دارجاً ، وتعبيراً مكروراً ، حاولت فيه جمع النقاد لفهم دلالاتهم ، والأخذ بثبوت مفهومهم ؛ لأنه غير منطوق ، إذ إن كلام الأئمة على الرواة جرحاً لم ينحصر في الألفاظ التي أطلق عليها مصطلحات الجرح والتعديل ؛ لإطباق العلماء وتواترهم على استخدامها لفظاً ودلالة ، بل إن بعض النقاد تعدى تلك المصطلحات ، فاستخدم الإشارات والحركات ، كتحريك اليد ، أو الرأس ، أو تحميض الوجه ، أو تقطيب الحاجبين ، أو تغير حركة الشفاه ، أو البزق ، أو الصياح ، او الضحك لتضعيف الراوي ، أو توثيق ذاك ، ولهذا يهدف هذا البحث إلى جمع تلك الإشارات والحركات ، وكشف اللثام عنها

أسباب اختيار البحث :

1 ـ بيان فهم معنى الناقد من خلال إشارته من أن هذا الراوي قد وصل لدرجة متقدمة في التجريح به حتى وصف بـ (كذاب) أو درجة أقل من ذلك كـ (صدوق) من خلال الجرح بإشارته .

2 ـ حصر ما أمكن حصره من الإشارات أو الحركات التي استعملها النقاد الأوائل.

3 ـ الوقوف على بعض من جرّح أو عدّل بالإشارة .

4 ـ بيان من كان يستعمل الإشارة في جرحه وتعديله للرواة من الأئمة النقاد .

5 ـ معرفة من كان يكثر استخدام هذا اللون في جرح الرواة .

إشكالية البحث :

تكمن في صعوبة تحديد مراد الإمام الناقد من إشارته أو حركته ؛ ذلك أن الإشارة أو الحركة الصادرة من الناقد قد يفهم منها أكثر من معنى مما يستوجب إعمال النظر ، وإشغال الفكر .

منهج البحث :

كان المنهج التحليلي الاستقرائي هو المتبع في هذا العمل للضرورة التي فرضتها المتابعة ويتمحور في الآتي :

1 ـ ذكر الإشارة أو الحركة كما في كتب الرجال

2 ـ عزو نصوص النقاد إلى مصادرها الأصلية ، فإن لم توجد فإلى أول مصدر ناقل لها .

3 ـ اتباع الخطوات الآتية في كل إشارة أو حركة

4 . تفسير الإشارة أو الحركة

بيان من استعملها من النقاد

بيان مراد الإمام الناقد من هذه الإشارة او الحركة

بيان من وصف بها من الرواة .

هيكلية البحث : قسَّمت البحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالمصطلحات الآتية : الإشارة ، الجرح .

المطلب الثاني : أهمية علم نقد الأحاديث .

المطلب الثالث : بيان بعض الإشارات الدالة على الجرح .

أهم النتائج .

المطلب الأول : التعريف بالمصطلحات :

أولاً الجرح :

الجرح في اللغة مشتق من جَرَحَهَ يَجْرَحُهُ جَرْحاً، أثّر فيه بالسلاح ،وجَرَّحَه: أكثر ذلك فيه ، قال الحطيئة: ملُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْه كِلابهُمُ ... وجَرَّحوه بأنيابٍ وأضْرَاسِ.

والاسم الجُرْحُ، والجمع أجْرَاحٌ وجُرُوحٌ وجِرَاحٌ. والجِرَاحَةُ اسم الضربة أو الطعنة ، والجمع جِراحاتٌ وجِرَاحٌ ، وجَرَّحَ الرجل: غض شهادته ، والاستِجْرَاحُ : النقصان وهو منه ما حكاه أبو عبيد قال: "وفي خطبة عبد الملك: وعظتكم فلم تزدادوا على الموعظة إلا استجراحاً". (ينظر : تهذيب اللغة للأزهري، مادة جرح 1 436) .

وجَرَحَ الشيء واجترَحَه: كسبه ، وفي التنزيل: ﴿و هو الذي يَتَوفَّاكُمْ باللَّيْلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتم بالنهارِ﴾ (آي 60 من سورة الأنعام) وفيه: ﴿أمْ حَسِبَ الذين اجْتَرَحوا السَّيِّئات﴾ (آي 21 من سورة الجاثية).

وفلان جارحُ أهله وجارِحَتُهم: أي: كاسبهم ، وجَرَحَه بلسانه : شتمه ومنه قوله : جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره ، وروي عن بعض التَّابعين أنه قال: كثرت هذه الاحاديث واستجرحت أي فسدت وقلَّ صحاحها . (المصدر نفسه 1 436)

وهو في اصطلاح المحدثين: الطعن في رواة الحديث بما يسلب عدالتهم ،أو ضبطهم (المنهج الحديث في علوم الحديث ص 82)

وقيل: هو وصف متى التحق بالراوي والشاهد ، سقط الاعتبار بقولهما، وبطل العمل به (جامع الأصول لابن الأثير 1 126)

ثانياً الإشارة :

الإشارة لغة : التلويح بشيء يفهم منه النطق ، فهي ترادف النطق في فهم المعنى ، وإشارة النص العمل بما يثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود (ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي 1 65).

وإنما استعمل الفهم في الإشارة ؛ لأن الإشارة تجري مجرى الكلام في الدلالة على المعنى .(ينظر : معجم الفروق اللغوية للعسكري 1 284).

أما اصطلاحاً ، فهي كما عرّفها الجرجاني : هي الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام (ينظر : التعريفات للجرجاني 1 43).

المطلب الثاني : أهمية نقد الحديث :

إن علم نقد الأحاديث سنداً ومتناً يعتبر من أهم العلوم التي أسهمت في حفظ السنة النبوية والبحث في أوجه نقد الأحاديث ، وبيان عللها من أهم المعارف والمباحث التي تدرس في علم نقد الأحاديث ، حيث إنها تكسب الباحث الخبرة والمعرفة للتمييز بين الصحيح والضعيف ،والتي تؤهّلهُ للحكم عليها ، ومدى قوة الاستدلال بها في الأقوال والأعمال والأحكام الشرعية ، وغموض علل الأحاديث على كثير من الناس إلا المتمرّسين في الفن ، حتى أصبح من أغمض أنواع الحديث ، وأدقّها مسلكاً ؛ لذا قام جهابذة النقاد من المحدّثين ببيان علل الأحاديث من اضطراب ، أو تصحيف ، أو نكارة ، أو شذوذ ، أو إدراج وغيرها ، وبيان الحديث المروي بالمعنى الخطأ عن الثقات ، مما يوهم صحته فيحكم

به ، وهو ليس بصحيح بل هو معلول بالضعف.

لذا ظهرت أهميّة هذا العلم منذ زمن النبيء ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولكن بشكل محدود ، ثم انتشر هذا العلم بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ في زمن الفتنة ؛ لأهميته القصوى المتمثلة في حفظ السنة التي هي السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عز وجل ومعالم دينه ، فإن قيل : كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عز وجل ومعالم دينه ؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه النجباء الألباب الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، رضى الله تعالى عنهم.

فإن قيل: فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة ؟ قيل: بنقد العلماء الجهابذة الذين خصهم الله عز وجل بهذه الفضيلة ، ورزقهم هذه المعرفة في كل دهر وزمان. (ينظر : مقدمة الجرح والتعديل لأبي حاذ 1 2)

فمن أهميته : إجماع أهل العلم على أنه لا يقبل إلا خبرُ العدل، كما أنه لا تقبل إلا شهادة العدل؛ لذلك كان السؤال عن المخبر من أهل العلم والمعرفة واجباً محتماً.

وإذا كان معرفة أحوال الرواة من أوجب الواجبات لحفظ سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإن بيان حال من عُرف بالضعف أو الكذب، وكذا من عُرف بالضبط والعدالة من ذلك الواجب أيضاً؛ ليعرفَ الناس حقيقة أمر من نقل حديث النبيء ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الأمة. (ينظر : مقدمة الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي)

وهذا الاهتمام بالرواة وهو ما يعرف بالاهتمام بالإسناد، وهو ما يتردد على ألسنة كثير من المحدِّثين بقولهم: الإسناد، وفضائل الإسناد، وأهمية الإسناد، والإسناد من خصائص الأمة المحمدية، ونحو ذلك.(ينظر : تدريب الراوي للسيوط 2 159)

والإسناد من خصائص هذه الأمة، ليست لغيرها من الأمم. قال ابن حزم: " نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبيء ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الاتصال، خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه".(ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواو 2 159)

قال: " وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب، أو مجهول العين، فكثير في نقل اليهود والنصارى قال: وأما أقوال

الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً، ولا إلى تابع له، ولا يمكن للنصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص"(ينظر : المصدر نفسه)

ومن دلائل اهتمام هذه الأمة بالإسناد، ورجال الإسناد، ما يأتي:

قال عبد الله بن المبارك: " الإسناد من الدين وَلَولاَ الإسنادُ لَقَالَ مَن شَاءَ مَا شَاءَ (أخرجه مسلم في صحيحه 1 15،باب في أن الإسناد من الدين)

وقال عبدان قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ المبارك يَقول : " الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ : مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : فَلَوْلَا الْإِسْنَادُ وَطَلَبُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لَهُ وَكَثْرَةُ مُوَاظَبَتِهِمْ عَلَى حِفْظِهِ لدرس مَنَارُ الْإِسْلَامِ ، وَلَتَمَكّن أَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ فِيهِ بِوَضْعِ الْأَحَادِيثِ ، وَقَلْبِ الْأَسَانِيدِ ، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا تَعَرَّتْ عَنْ وُجُودِ الْأَسَانِيدِ فِيهَا كَانَتْ بُتْرًا "(ينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري ص 8)

وقال عبدان قَالَ : سمعت عَبْدَ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ ، يَقُولُ : " الْإِسْنَادُ عِنْدِي مِنَ الدِّينِ وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ : مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ".(ينظر : الكفاية للخطيب البغدادي 1 393

و قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : "مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ أَمْرَ دِينِهِ بِلَا إِسْنَادٍ كَمَثَلِ الَّذِي يَرْتَقِي السَّطْحَ بِلَا سُلَّمٍ " (المصدر نفسه) .

وقال مُحَمَّد بن شَاذَانَ الْجَوهَري سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ عَنْ إِسْنَادِ حَدِيثٍ سَقَطَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : تَدْرِي مَا قَالَ : أَبُو سَعِيدٍ الْحداد ؟ قَالَ : " الْإِسْنَادُ مِثْلُ الدَّرَجِ وَمِثْلُ الْمَرَاقِي . فَإِذَا زَلَّت رِجْلك عَنِ الْمَرْقَاةِ سَقَطْتَ ، الرَّأْي مثل الدرج " (ينظر : الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي 1 393)

و روى مسلم أيضاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: " إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ. ".

(أخرجه مسلم في صحيح 1 11 ، باب: في أن الإسناد من الدين، حديث رقم 27).

وعَنِ ابن سِيرِين قَالَ: " لَمْ يكونوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَة قَالُوا سَموا لَنَا رجالكم ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهل السنَّة فَيُؤْخَذ حديثهم ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذ حديثهم".(ينظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب 1 122) .

وعَنِ ابْنِ أَبِى الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : "أَدْرَكْتُ بِالْمَدِينَةِ مِائَةً كُلُّهُمْ مَأْمُونٌ مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمُ الْحَدِيثُ يُقَالُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ". (ينظر: المصدر نفسه 1 162) .

وعن عبد الله بن المبارك قالَ: " بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْقَوَائِمُ ، يَعْنِى : الإِسْنَادَ". (أخرجه مسلم 1 12 ، باب في أن الإسناد من الدين، حديث رقم 33) .

وعن شعبة بن الحجاج، قال: كل حديث ليس فيه حدثنا، أو أخبرنا، فهو مثل الرجل بفلاة، معه

البعير ليس لها خطام. (ينظر: المجروحين لابن حبا 1 27).

ومن هذا العرض لأقوال الأئمة تظهر الأهمية البالغة لهذا العلم ، ومن أوجه تلك الأهميّة ما يأتي :

1 . أنه نصيحة في أعلى المراتب ، تجمع جوانب النصح التي أوردها الحديث (لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم .) (ينظر: أصول الجرح والتعديل لنور الدين عتر ص 19 20)

2 . أنه أداء لحق الله على العلماء أن يبيّنوا حقائق ما يتصل بالدين ، يدل على ذلك آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى :﴿ وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَهُ لِلنَّاسِ ولاَ تَكْتُمُونَ ﴾(آية 187 من سورة آل عمران) وكذا الحديث (من سُئلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) (أخرجه ابن ماجة في سنن 1 97 ، باب من سئل عن علم فكتمه حديث رقم 264)

3 . علم نقد الحديث صيانة للدين، بذب الكذب والغلط عن سيد المرسلين ، كما قال الإمام يحيى بن سعيد القطان في الذين ترك حديثهم : " لأن يكون هؤلاء خصمائي أحبَّ إلي من أن يكون خصمي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، يقول لِمَ لم تذب الكذب عن حديثي " فلولا جهود هؤلاء الأعلام ، ورحلاتهم في طلب الأسانيد ، ومعرفة رجالها حتى قطعوا القفار ، واكتفوا بكسر الخبز ولبس الأطمار ، لظهرت الدجاجلة ، واستولت الزنادقة على أمور الدّين ، وسيطرت المبتدعة على حياة المسلمين .

4 . إن هذا العلم عوْنٌ كبير لاجتماع كلمة الأمة المسلمة ؛ لأن أساس قبول الحديث ورده ، معرفة الراوي هل يؤدي الحديث كما سمعه أولاً ؟ وهذه وظيفة الجرح والتعديل ، فكان في روايات الثقات والمقبولين ما يجمع كلمة المسلمين .

وقد تجنَّى بعض المبتدعة على العلم ، فلولا جهود هؤلاء الجهابذة لتمزّقت الأمة ، وتشتت وراء الآراء الضالة ، وأهواء الوضّاعين المضللين ، وعقائدهم الزائفة ، لكن الله تعالى تكفّل بحفظ دينه ، فوفّق هذه الأمة لهذا العلم ، وجعله خصوصية لها (ينظر :أصول الجرح والتعديل لنور الدين عتر ص 20)

المطلب الثالث : الإشارات الدالة على الجرح عند بعض الأئمة :

أولاً : تحريك الرأس

وهو حركة الرأس بالموافقة أو الرفض ، **وهذه الدلالة هي التي تؤخذ من السائل** ، فمثلاً هذه الإشارة قد تعني تضعيف الراوي جداً ، وأنه يهمل وتترك الرواية عنه ، إلا أنه ليس بكذاب ، وربما أرادوا

به مطلق التضعيف ، أو التضعيف لحد ترك الرواية عن ذلك الراوي ، ففي تاريخ بغداد في ترجمة سويد بن سعيد بن سهل الأنباري ، عن عبد الله بن علي المديني قال : " سُئِلَ أبي عن سويد الأنباري فحرَّك رأسه وقال ليس بشيء" (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 10 316)

و لاشك في أن تحريك الرأس مع إصدار الحكم يكون أشدّ من القول المجرّد عن تلك الحركة ، فتحريك الرأس عند يحيى بن سعيد القطان كما روى ابن أبي حاتم بسنده إلى علي بن المديني أنه قال : " ذكرنا ليحيى القاسم بن عوف الشيباني فقال : قال شعبة : دخلت عليه فحرَّك يحيى رأسه ، قلت : ليحيى ما شأنه ؟ قال : فجعل يحيد ، قلت ليحيى : ضعيف في الحديث ؟ فقال : لو لم يضعّفه لروى عنه " (ميزان الاعتدال للذهبي 3 376)

قال الذهبي في الميزان في ترجمة الحسين بن واقد المروزي : " واستنكر أحمد بعض حديثه ، وحرَّك رأسه كأنه لم يرضه لما قيل له : إنه روى هذا الحديث الذي رواه معاذ بن أسد (المصدر نفسه 1 549).

وأخبر محمد بن محمود بن عدي النسائي قال: سمعت علي بن سعيد النسائي يقول: سئل أحمد بن حنبل عن يزيد بن أبى زياد فضعفه وحرك رأسه. (المجروحين لابن حبان 3 101) .

وقال البرذعي لأبي زرعة شيخُ لقيني بتوران ، و توران بالراء والألف والنون : بلاد ما وراء النهر بأجمعها تسمى بذلك ، يقال لملكها توران شاه. (ينظر : معجم البلدان للحموي 2 57).

قال لقيني بتوران بردعة ، والبرذعة : بلد في أقصى أذربيجان ومعناه بالفارسية موضع السبي ، فقال لقيني من ناحيتكم شخصٌ يقال له أحمد بن الخليل القومسي يحدث فحرَّك رأسه.(ينظر : الضعفاء لأبي زرعة 2 733).

ثم قال الله المستعان، أي شيء يصنع ببردعة يريد الدراهم ؟.قلت: هو في موضع يكتب عنه؟ قال: لا، ثم قال: كان لهذا ببردعة قصص يطول ذكرها، فكتب إلي من بردعة كتاباً بخطه، وكتب أصحابنا إليه في أمره، وجرى بيني وبين أبي زرعة في بابه كلام كثير، فسمعت أبا زرعة يقول: "كذاب، يكذب على من لقى، ويحدث عن من لم يلقه، ويحدث عن قوم قد ماتوا قبل أن يولد بنحو عشر سنين". قلت: من هذا؟ مات قبل أن يولد. قال عفان بن سيار الجرجاني مات في سنة مات فيها ابن المبارك، وقد حدث هذا عنه. (المصدر نفسه 2 733) .

وروى ابن أبي حاتم عن أبيه أن محمد بن مسلم سأله " تعرف أحداً روى عن أبى الابيض عن أنس غير ربعي ؟ فقلت له نعم روى عنه إبراهيم بن أبى عبلة فحرَّك رأسه.(الجرح والتعديل لأبي حاتم 6 :

.(293

ثانياً : تحريك اليد

تحريكُ الناقدِ يدَه إشارة ترمز إلى أكثر من معنى ، تأتي بمفاهيم متعددة منها : تقليبها بمعنى أن حال الراوي مضطرب ، فتارة يحدّث فيصيب ، وتارة يحدِّث فيخطئ ، وتأتي أحياناً بمعنى التردد أو التوقف في حال الراوي ، فكأنها بمعنى لا أدري ، وتأتي بمعنى ذم الراوي.

فعبارة " لابأس به " هي إحدى المصطلحات الشهيرة الدائرة على ألسنة المحدّثين ، وهي عند الجمهور مساوية لكلمة صدوق ، وهي عند المتأخرين دالة على صلاحية الراوي الموصوف بها للاحتجاج به ، والتحقيق أنه لا يحتجّ به إذا خالفه من هو فوقه أو مثله ، أو تفرّد بما لا يحتمل منه ، أو بما أعلّه بعض كبار الأئمة بما يمنع من ثبوته ، وقد قال علي بن المديني : سمعت يحيى بن سعيد وذكر عمر بن الوليد الشني فقال بيده يحرّكها كأنه لا يقويه ، قال علي : فاسترجعت أنا فقال : مالك ؟ قلت : إذا حرّكت يدك فقد أهلكته عندي ، قال ليس هو عندي ممن أعتمد عليه ، ولكنه لا بأس به.(ينظر :لسان المحدثين لمحمد خلف سلام 3 102).

وممن استعمل أسلوب تحريك اليد في نقده يحيى بن سعيد القطان ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وأبو زرعة الرازي ، وأبو حاتم الرازي .

أما يحيى بن معين فعندما سئل عن جعفر الأحمر فقال: بيده لم يلينه ولم يضعفه.(ينظر : تاريخ ابن معين الدارمي 1 87) .

واستعمل هذا الأسلوب : علي بن المديني ، وكأنه تأثّر بمنهج شيخه يحيى بن سعيد القطان ، حيث استخدم حركاته ، كتحريك اليد وغيرها، قال عبدالله بن على بن المديني: "سألت أبى عن إسحاق الملطى، فقال بيده هكذا، أي : ليس بشيء". (ينظر : الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي 2 235).

ومن أباطيل الملطي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس - مرفوعا: ما زنى عبد فأدمن إلا ابتلى في أهله ، وبه مرفوعا: نهى عن اللعب كله حتى الصبيان بالكعاب. (ينظر : ميزان الاعتدال للذهبي 1 201) .

وقال أحمد بن محمد بن القاسم بن المحرز: سمعت يحيى بن معين يقول: إسحاق بن نجيح الملطى كذاب، عدو الله، رجل سوء خبيث لا رحمه الله (ينظر : تاريخ ابن معين 2 335) .

وقال أحمد بن حنبل - فيما روى عنه ابنه عبدالله: إسحاق بن نجيح من أكذب الناس .(ينظر : ميزان الاعتدال للذهبي 1 201) .

وهو أي : الإمام أحمد من الأئمة النقاد أيضاً ، حيث كان إذا سئل أحياناً عن ضعيف يحرِّك يده ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن فرقد السبخي فقال : ليس هو بقوي في الحديث ، قلت : هو ضعيف ، قال : ليس هو بذاك .(ينظر : العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية ابنه عبد الله 1 : 384).

ولعل أكثر النقاد استعمالاً لهذا الأسلوب ، هو الإمام أبو زرعة الرازي ، حيث جرّح من الرواة الكثير ، من ذلك كما قال ابن أبي حاتم " حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبا زرعة عن سعيد بن سنان أبى مهدى فأومأ بيده أنه ضعيف " (ينظر: الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي 4 29).

ثالثاً: تكلُّح الوجه

الكُلوحُ: تكشُّرٌ في عبوس ، وقد كَلَحَ الرجل كُلوحاً ، و كُلاحاً ، وما أقبح كَلَحَتَهُ، يراد به الفم وما حواليه. (ينظر : الصحاح في اللغة للجوهري 2 121) .

وتكلُّح الناقد وجهه عندما يُسأل عن بعض الرواة ، كناية عن تجريحه ، وعدم ارتضائه إياه لهذا قال البرذعي : " ذكرت لأبي زرعة: عمرو بن عثمان الكلابي فكلح وجهه وأساء الثناء عليه".(ينظر : الضعفاء لأبي زرعة الرازي 2 759).

وكذلك قال البرذعي " ذكرتُ أي لأبي زرعة أصحابَ مالك ، فذكرت عبدَ الله بن نافع الصائغ فكلح وجهه" .(ينظر : لسان المحدثين لمحمد خلف سلامة 4 235) .

وكان يحيى بن سعيد إذا ذكر عنده أبو بكر بن عياش كلح وجهه (ينظر :الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي 4 26).

رابعاً : حمّض وجهه

أي : حوَّله عن جهة مخاطبه ، أو أظهر عليه علامات النفور والاشمئزاز وعدم الرضا ، أو فعل الأمرين معاً ، قال ابن منظور في (لسان العرب) في ثنايا شرحه لكلمات مادة (ح م ض) : (وفؤادٌ حَمْضٌ ونَفْسٌ حَمْضة : تَنْفِر من الشيءِ أَولَ ما تسمعه ، وتَحَمَّض الرجلُ : تحوَّل من شيءٍ إِلى شيءٍ ، وحمَّضه عنه وأَحْمَضَه : حوَّله) . (ينظر: لسان العرب لابن منظو 7 140).

وقد انفرد بهذا الأسلوب يحيى بن سعيد القطان في استعماله لتضعيف الرواة ، فقد جرّح به ميمون ، قال علي بن المديني : سألت يحيى عن ميمون أبي عبد الله الذي روى عنه عوف عن زيد بن أرقم فحمّض وجهه ، وقال: زعم شعبة أنه كان فسلا.(ينظر : الجرح والتعديل لأبي حاتـ 1 153)

خامساً : عوّج فمه

يدل هذا على تضعيف الراوي ، وهو لون خاص بيحيى بن سعيد القطان أيضاً ، قال ابن المديني : قلت ليحيى : أن عبد الرحمن زعم أن زياداً أبا عمر كان ثبتاً فعوّج يحيى فمه وقال : كان شيخاً لا بأس، أمّا في الحديث فلا (ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي 3 193).

سادساً : نفضُ اليد. وهذا اللون يدل على الجرح الشديد ، وقد استعمله أحمد بن حنبل ، قال ابن وارة: يا أبا عبد الله ، رأيت محمد بن حميد ؟ قال : نعم ، قال : كيف رأيت حديثه ؟ قال: إذا حدّث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة ، وإذا حدّث عن أهل بلده مثل إبراهيم بن المختار وغيره أتى بأشياء لا تُعرف ، لا تدرى ما هي ؟ قال: فقال أبو زرعة وابن وارة: صح عندنا أنه يكذب ، قال: فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده.(ينظر : المجروحين لابن حبان 2 304).

ثامناً : الضحك

قد يسأل الناقد عن الراوي فيضحك ، وفي هذا دلالة على أن الناقد لم يرض هذا الراوي ، وممن استعمل هذا اللون من النقاد : يحيى بن سعيد القطان ، وأحمد بن حنبل ، وأبو زرعة .

قال علي بن المديني : " قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمن بن مهدي قال: أنا أترك من أهل الحديث كل من كان رأساً في بدعة ، فضحك يحيى بن سعيد". (ينظر : تهذيب الكمال للمزي 21 : 336).

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل :" سألت أبي عن داود بن المحبر ، فضحك وقال: شبه لا شيء ، كان لا يدري ما الحديث".(ينظر : المصدر نفسه 8 445) .

قال البرذعي : "قلت لأبي زرعة: ابن شاذان المكي ، النضر بن سلمة، حدثنا عن المؤمل بن إسماعيل ، عن الحارث بن عمير ، عن عبد الله ، عن نافع، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجير على المسلمين أدناهم)(أخرجه أحمد في مسند 11 587 ،باب مسند عبد الله بن عمر حديث رقم 7012) .

فقال أبو زرعة: "راوي هذا الحديث مجنون ، كم من كذاب يكون مجنوناً ، وذاكرت أبا زرعة مرة أخرى بحديث فسألني عمن كتبته؟ فقلت: عن شاذان المكي، فضحك."(ينظر : الضعفاء لأبي زرعة 2 403).

تاسعاً : الصياح

ويدل على تعجب الناقد من الراوي بعد السؤال عنه ، وقد استعمل هذا اللون : شعبة بن الحجاج ، ويحيى بن معين .

قيل لشعبة : لقيت زكريا بن أبي مريم سمع من أبي أمامة ؟ فجعل يتعجب، ثم ذكره فصاح

صيحة ، فقيل صيحة شعبة أنه لم يرض زكريا .(ينظر : الضعفاء الكبير للعقيلي 2 88).

نتائج البحث :

1 . علم الجرح والتعديل من أدق العلوم الإسلامية ، وهو علم تفرد به المسلمون عن سائر الأمم الأخرى

2 . الجهابذةُ النقادُ العارفون بعلل الحديث أفرادٌ قليلون من أهل الحديث جداً، وأوَّل من اشتهر بالكلام في نقد الحديث ابنُ سيرين ، ثم خلفه أيوبُ السَّختياني ، وأخذ ذلك عنه شعبةُ ، وأخذ عن شعبة يحيى القطّان ، وابنُ مهدي ، وأخذ عنهما أحمد ، وعليُّ بن المديني ،وابن معين ، وأخذ عنهم مثلُ البخاري وأبي داود وأبي زُرعة وأبي حاتم .

3 ـ لا يجوز الحكم على راوٍ معيَّنٍ إلا بعد استيعاب أقوال أهل الجرح والتعديل فيه ، ووضع كل قول في مكانه ، والموازنة بينها ، وفهم مقاصدهم ، ثم الحكم عليه ، هذا إذا لم يحكم عليه سابقاً بحكم واضحٍ

4 ـ الغالب في استخدام هذا الأسلوب (الإشارة) كان في معرض الجرح ، ولم يستخدم في محل التعديل إلا نادراً .

5. هذا الأسلوب أكثر شيوعاً في كتب السؤلات منه في غيرها من كتب النقد

6 . قد تقترن الإشارة بكلام يفيد معناها ، وقد تكون مجرّدة من غير شيء .

7 . أغلب الأئمة الكبار دون غيرهم كانوا أكثر استخداماً لهذا الأسلوب .

المصادر والمراجع :

1 ـ ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون ، الطبعة الأولى ، دمشق ، الناشر : مكتبة الحلواني .

2 ـ ابن حبان ، المجروحين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، حلب ، الناشر : دار الوعي .

3 ـ ابن عدي ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، الناشر : دار الفكر 1409 - 1988 م .

4 ـ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .

5 ـ ابن منظور ، لسان العرب ، الطبعة : الأولى ، بيروت ، الناشر: دار صادر .

6 ـ أبو حاتم ،الجرح والتعديل ، الطبعة : الأولى ، بيروت ، الناشر : دار إحياء التراث العربي .

7 ـ أبو زرعة ، الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤلات البرذعي ، تحقيق : د. سعدي الهاشمي ، الطبعة : الأولى ، المدينة المنورة ، الناشر : الجامعة الاسلامية 1402هـ - 1982م .

8 ـ الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الطبعة : الأولى ، بيروت ، الناشر : دار الكتاب العربي .

9 ـ الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق : السيد معظم حسين الطبعة : الثانية ، بيروت ، الناشر : دار الكتب العلمية .

10 ـ الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، الناشر : دار الفكر .

11 ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة: الأولى ، بيروت ، الناشر: دار الغرب الإسلامي 1422هـ - 2002

12 ـ الخطيب البغدادي الكفاية في علم الرواية ، تحقيق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المدينة المنورة ، الناشر: المكتبة العلمية .

13 ـ السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، الرياض ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة .

14 ـ عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس ، الطبعة: الثانية ، الرياض ، الناشر: دار الخاني 1422 هـ- 2001 م.

15 ـ العراقي ، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، تحقيق : علي حسين علي ، الطبعة : الأولى ، مصر ، الناشر : مكتبة السنة 1424 ، 2003 م

16 ـ العقيلي ، الضعفاء الكبير ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ، الطبعة: الأولى ، بيروت ، الناشر: دار المكتبة العلمية 1404هـ - 1984م

17 ـ المزي ، تهذيب الكمال ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى ، بيروت ، الناشر : مؤسسة الرسالة 1400 - 1980 م .

18 ـ مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، الناشر : دار إحياء التراث العربي .

19 ـ المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، دمشق ، الناشر : دار الفكر المعاصر.

20 ـ نور الدين عتر ، أصول الجرح والتعديل ، الطبعة : الثانية ، دمشق ـ حلبوني ، الناشر : دار اليمامة ، 1427 ه 2007 م .

21ـ يحيى بن معين ، تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي ، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف ، دمشق ، الناشر : دار المأمون للتراث 1400 ه.